

رسالة في إصلاح الدولة العثمانية

في القرن السابع عشر

الشيخ حسن كافي الأحمصاري

ورسالته « أصول الحكيم في نظام العالم »

دراسة وتحقيق

عمر نايتشقيش

الشيخ حسن كافي الأحمصاري من علماء اليوسنة والكومفركيا الذين تأثروا
بالفكر البريية الاسلامية ، ومن الذين قاموا بنشرها في المناطق التي كانت في القرنين
السادس عشر والسابع عشر تحت سلطة الامبراطورية العثمانية . انه ليس محمولا تماما
للمسلم الاسلامي ، وكذلك بالنسبة للمسلم الأوروبي ، ولكنه بقي مشمورا إلى حد ما
كما حدث مع الكثيرين من علماء بلاده .

١ - أن لواءى اليوسنة والمهرسك واجعة وتقع في الشمال الغربي من شبه جزيرة
البلقان وسط يوغوسلافيا الحالية ، وسُميت باسم نهر يجري فيها وتجهز الآن من الجانب الشمالي
نهر (صلفا) ومن الجانب الشرق نهر (جرينا) ومن الجانب الغربي عنقطة (طلالينيا)
ومن الجانب الشرق الجنوبي (بلبل الأسود) وإذا أطلق اسم اليوسنة فقد يشمل على المهرسك
أيضا . وأكثر أراضيها جبلية والسهول فيها قليلة وأنهارها كثيرة جدا تتفرج في كل
جهة من جهاتها عيون للماء العذب وزرعها بالانطار وفيها فواكه كثيرة متنوعة لذيدة
وهواؤها حسن جدا للصحة صيفا وشتاء ولكن إذا حل الشتاء تقطت الأرض بغطاء من الثلوج ،
ومن الآن إحدى الجمهوريات اليوجوسلافية وعاصمتها (سرايفو) ويسمونها الأتراك في الوثائق
(يوسنة سراي أو سراي يوسنة) راجع المانجى ص ٩ من الجوهر الأسنى .

ولد الشيخ حسن كافي في البوسنة سنة ١٩٥١/٥٤٤م في بلدة اقصرار - بين
الدار البيضاء - وأهل تلك البلاد يسمونها بـ (بروسانس) (١) وأجداده لم يكونوا
أصلا من البوسنة بل جاءوا من ألبانيا من إحدى قرى الاسكندرية الرومية (٢)
واستوطن جده يعقوب قبل مجيء الأتراك إلى البوسنة قرية من قرى قضاء
اقصرار (بروسانس) اسمها ذئب ، ولا يعرف سبب مجيئه إلى الوطن الجديد ،
هل كان ذلك لميوله إلى المذهب الباتاريني للتحرف من المسيحية حيث أجبر على الفرار
من الصليبيين والتجأ إلى البوسنة ، أو جاء كرامى أفغان يبحث عن الرعى .

ولما بلغ حسن كافي سن التمام بدأ بدراسته حسب العادة والزمان والنهج

١ - ذكر الدكتور باشا غيتش في ترجمة « حياتنا ناموسي » لاوليا جليبي ص ١٤٧
أن البنادق بنوا هذه القلعة الجميلة التي تشبه الأواقي الأبيض وسموها بـ (بروسانس) ،
وذكر لاسم بروسانس أول مرة في التاسع والمئتين من شهر يوليو سنة ١٤٧٨ وسُميت
هذه القلعة بعد ذلك ببلغراد ، وترجم اسمها إلى اللغة التركية واصبحت (اقصرار) بضم الـ
البيضاء . وقال اوليا جليبي أنه كان في القلعة ثمانون دارا للجيش ومسجد واحد . أما خارج
القلعة فكانت عدة مساجد وأحسنها مسجد حيفر كهيا الذي بنى ١٠٢٥ ١٦٦٦ م ،
وثمانية شوارع للسكنى ذات دور أرضى أو طابق واحد وبساتين من حولها . ويدخل
الإنسان القلعة عبر الجسر المتحرك الذي ينزل لإثناء النهار ويرفع لإثناء الليل . وكتب فوق
مدخل القلعة عبارة تقول أن القلعة تشابه جنة المسأوى . وتوجد في المدينة ثلاث تكايا
وأعشرها تكية خلوتية بناها الشيخ حسن كافي وكذلك ثلاث كتاتيب كتب فوق الذي بناه
الشيخ حسن تاريخ إنشائه « شيخ كافي » يعني (١٠٢١ ١٦٦٢ م) وكذلك خان بناه
الشيخ حسن أيضا . وفي المدينة حمام واحد وثمانون عملا للبيع والشراء فضلا عن (باذستان)
وفها دار الحديث ، وليست هذه المدينة كبيرة بل لأنها مدينة حدود حول القلعة ، أما الجو
فيها فإنه لطيف وفي المدينة ماء عذب ادخل من خارج المدينة عن طريق الأنابيب
الحشوية .

٢ - هكذا سميت مدينة (اشقدرة) في الوثائق التركية وحسن كافي يستعمل
هذه الكلمة .

الذى كان متبعاً في الدولة العثمانية حينذاك ، وأشار في ترجمة حياته إلى أنه ارتحل إلى استانبول بعدما تيسر له «تحصيل مباني العلوم» في بلاده في أوائل سلطنة السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان (١) وأخذ العلوم من عدة مشايخ ، واشتغل عند كثير منهم حتى انتسب إلى خدمة حاجى أفندى قره ييلان المشهور بـ معيد كمال باشا زاده (٢) في بلده (جتالجه) للتوفى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة . ومن بين الذين أخذ العلوم عنهم كان العلامة في التفسير والأصول قاضى المسكر بروم إلى المعروف بالمعجم منلى أحمد الأنصارى ، والعلامة بمشا كل الحديث والقرآن القاضى واللفى بيـ (سرايفو) بالى بن يوسف الشهير بعلم الوزير الأكبر (٣) ، ثم آخر من تلمذ عليه الأقفصارى هو قدوة مشايخ المدينة ومكة أستاذ سلطان الهند جلال الدين الأكبر والقاضى بمسكركه الشيخ الأنور مسير غضنفر بن جعفر الحسين للتقاعد بالمدينة للنورة .

ولما تم الشيخ حسن كافى الأقفصارى دراسته في استانبول عاد إلى مسقط رأسه (بروساس) عام ٩٨٢ هـ وبدأ بالتعليم .

(١) كان سلطاناً من سنة ٩٧٤ — ٩٨٢ هـ .

(٢) وضعه الأقفصارى في سلسلة العلماء الذين نقلت عن طريقهم العلوم الإسلامية من النبي المرسل إلى وقته هو .

وقد تحدث عنه بكل احترام وتظيم وقال : « الثامن والعشرون (في هذه السلسلة) العالم العامل والأستاذ الفاضل الكامل ، الشيخ الهادى شيخى وأستاذى ، الشيخ حاجى أفندى المعروف بقره ييلان فيما بين أقرانه ، المشهور بمعيد كمال باشا زاده في زمانه ، حصل مباني العلوم في شبابه بقسطنطينية المحمية ، ثم صار معيداً لدروس الإمام كمال باشا زاده وأميناً لفتواه ثم اختار التقاعد للتفريس بمدرسة الوزير على باشا في بلدة جتالجه بقرب قسطنطينية وهو أول مدرس بها ٠٠٠٠ س ٣٠ من المخطوطة المذكورة من نظام العلماء للأقفصارى .

(٣) ولد في بلدة (سرايفو) وأخذ العلم من علماء بلاده ثم صار معلماً للأولاد ولكن بواسطة الوزير الأعظم محمد باشا صوكولى — وهو بوسنوى أيضاً ولد في قرية صوكول قرب =

ولما عاش الأخصاري في جو متوتر للغاية وبصفته عالماً بارزاً مشهوراً وكانياً ماهراً وصاحب رأى حاسم فإن السلطة العثمانية حاولت ضمه إلى قواها العامة لحل مشاكل الدولة العثمانية العديدة . وفي الزمان الذي كان الأخصاري فيه معلماً شاباً داعياً إلى تحقيق الفكرة الإسلامية في مطلع حياته العلمية ظهرت في البوسنة تعاليم الشيخ حمزة التي استهدت تدخل استانبول وللمعلم الشاب أيضاً في شئونها مع أستاذه بالي أفندي (١) . وعين الأخصاري بمد ذلك قاضياً في (برسائس) سنة (١٨٩١) غير أنه نقل من هذا المكان المهديء نسبياً ، بسبب جرأته وحدة قلبه إلى ولاية (سرم) (٢) سنة (١٨٩٦) .

كان الأخصاري يردد على استانبول كلما منحت له الفرصة مشغولاً من الشؤون منهنياً عالياً وكان وعيافته التعليمية والقضائية لم تسكن في مستواه بل كانت دوتها على حد اعتقاده .

== مدينة (فيشيفراد) على نهر درينا — دخل في جملة المدرسين بمدارس استانبول وتقلب فيه عدة وظائف وفي النهاية كان قاضياً في البوسنة وتوفي عام (١٩٠٠ - ١٥٨٢) واشترك بالي الهندي في تصفية الطريقة الحمزوية عندما أرسل شيخ الإسلام سنة (١٩٨٦) المشورات إلى القضاء يأمرهم فيها برد هؤلاء الزنادقة إلى دائرة الدين باى وجه كان ٥ من الجوهر الاسنى ، للخانجي نقلا عن الشقائق النعمانية .

(٧) ومؤسس لهذه الطريقة يسمى حمزة ٥ ولد في قرية من قرى مدينة (ازفونيق) على نهر (درينا) في البوسنة ويبدو أنه كان من أحفاد الشيخ حمزة (أورلوفيتش) الذي تبرع له السلطان بهدية قرية (أورلوفيتش) بما حولها من القرى المجاورة بحيث بنى مسجداً وتكية وداراً للضيوف لا تزال موجودة على شكلها ونوعها كما كانت . ونقل مؤسس هذه الطريقة الشيخ حمزة عام (١٥٧٣ م) في استانبول على أساس حكم شيخ الإسلام أبي سعود أفندي ، وقال ابن نوعي وشمس الدين سامي وعلى جواد أنه ظهرت منه أشياء مخالفة للشرع وغلبوا ذلك باستغراقه في الجذبة الالهية، قالوا فهبس في قلعة أقره . فلما أضحى الفهد وجدوه ميتاً وذلك سنة (١٩٦٤) ولم يذكروا ما ظهر منه ، الجوهر الاسنى ص ٦٨ .

(٨) المنطقة الواقعة بين نهري (سافا) و (دانوب) في يوغوسلافيا .

وبعد أن أدت فريضة الحج سنة ألف ، عاد إلى استانبول وعين من جديد قاضياً
في بعض بلاد جوار أخصار . وعندما ظهر في القسطنطينية والتساك من قبل بعض القمائل
في الأرذل والبندان (١) ترك الأخصار القضاة وفر إلى مسقط رأسه أخصار وفي
هذه الفترة من الأحداث التوترة وصلت أعماله الفكرية السياسية إلى ذروتها حيث
بدأ وضع رسالته « أصول الحكيم » في نظام العالم .

لقد خدم جمعية بإخلاص وصدق ولم يخلف أملاً ولا يئس بل أتقى كل ما كان
يملكه في سبيل الأعمال الخيرية . وعندما اشتهر بحكام كبير ومفكر عظيم قدم إلى
الوزير الأعظم إبراهيم باشا في شهر رجب وهو بوسنوى أيضاً أم مؤلفاته ومن بينها
ترجمة رسالته « أصول الحكيم » بلغة التركية التي يتحدث فيها بصراحة واستقامة عن
أخطاء نظام الحكيم التركي آنذاك مشيراً عند ذلك إلى الطرق والأساليب التي يمكن
بواسطة أن يعود إلى تركيا مجدداً القديم ويحفظها ثم حين - مكانة له - قاضياً
مدى الحياة في مسقط رأسه (أخصار) .

ويبدو أنه الشيخ حسن بدأ يئس من الحياة فأخفى وتراجع من الميادين
السياسية وكفى بقية حياته كمنحاضر وقاض يكتب مؤلفاته في مجال اللغة والدين لكن
كما خيمت من جديد السحب اللثيمة بالخطر الحربى نراه يتحرك فيه شعوره الوطنى
فيأخذ السيف في إحدى يديه والقلم في الأخرى ويقاوم ويجاهد ويعلم ويكتب حتى
وإنه الأجل وهو في مسقط رأسه - برومانس (أخصار) . وذلك في الخامس
والعشرين من شعبات أو في السادس عشر من رمضان سنة ١٠٢٥/١٦١٦م عن
أربعة وسبعين عاماً .

(١) ولاية في رومانيا الحالية .

لقد اشترك الأتحمصاري في كثير من المارك الدامية التي يتحدث هو بنفسه عن بعضها كما جاء في كتابه « نظام العلماء » .

« ... وفي أواخر هذه السنة السلية (١٠٠٤ هـ) خرج سلطاننا للظفر والنصور للنزوة للروفة بنزوة (أكر)^(١) ومহারبة لنابور ، ألا وهو السلطان ... الغازي محمد خان ابن السلطان مراد خان ... فخرجنا للزوة معه من أنحصار يوم السبت الرابع من محرم الحرام لسنة (١٠٠٥) ولحقنا بسكره ... تحت القلعة بعد المحاصرة يوم السبت الثالث من صفر ... » وعرض في هذه المناسبة كتابه للذكور « أصول الحكم » . وذكر في تصليفه للسمى بـ « أزهار الروضات في شرح روضات الجنات » أن لسويده كاتب في أواخر رجب لسنة ست وألف من الهجرة النبوية وتبييضه وتسكيبه في غزوة (استروغون ونهها)^(٢) « مع ثمنيت البال وكثرة الاشتغال بالمشاورة والرأي في أسباب الفتح والظفر وتدير أحوال المعسكر . في أوائل جمادى الأولى سنة (١٠١٤ هـ) وقد وقع الفراع من تمود هذا الشرح بعد الفتح والعود في أوائل رجب للرجب من السنة المزبورة بقلعة (لوسيبك)^(٣) ثم من تبييضه وإكاله بمون الله تعالى وأفضاله بقاعة أنحصار ... في أواخر شهر شوال لسنة (١٠١٥ هـ) .

ونجد مثل هذه للاحظة في كل من « نور اليقين » و « روضات الجنات » لهذا المؤلف حيث قال أنه كتب « روضات الجنات » في بروسانس أثناء لتدريس:

(١) تقسم في المجر وتسمى بـ « ارلاء » أيضاً ، فتحها السلطان محمد الثالث وتسمى جاتج أكر .

(٢) مدينة في المجر .

(٣) مدينة من مدن كرفانيا في يوغوسلافيا .

« بما خطر في نفسي في أثناء درسي ... مع كثرة الاشتغال بمخاطبة العوام وكثرت ليال بمخاطبة غير الإسلام والابتلاء بالقضاء سباً في أيام الفترة والرباء وإثارة الفتنة وأنواع الإيلاء » .

وإلى جانب ممارسة المهنة الاضائية والتعليمية في مختلف المناطق وتأليف الكتب في شتى لليادين اهتم الأخصاصرى اهتماماً كبيراً بشعبه . وقد اختار في نهاية حياته مكاناً هادئاً لأداء واجب العلم وأسس فيه مدينة جديدة للتعليم سماها « نواباد » (١) وبني فيها على نفقته الخاصة مسجداً ومكتباً لتعليم الأطفال وخاناً وحماماً ومدرسة ومحكمة وأقام شبكة لياحه ليزويد هذه المدينة بقاء نقي صاف وأحياناً شخصية (إيفاز دده) (٢) التاريخية وأخيراً بنى لنفسه في مبنى للدراسة صريحاً له دفن فيه هو وزوجته .

مؤلفات الأخصاصرى :

بعد الشيخ حسن كافي من بين العلماء البوسنويين الذين كتبوا باللغات الشرقية الثلاث فبرزوا فيها ، وعملوا على تقدم بيتهم ونجحوا في رسالتهم . إن هذا العالم وللربى حول مدينة (بروسالس) الصغيرة إلى مركز علمي ظل تأثيره ممتداً على ما حوله من المدن والقسرى حتى بعد وفاته ، وبصفته أنه كان عالماً من العلماء الذين يهتموا بالمناوحى العلمية الصرفة نجده لم يكن يحب كتابة الشعر غير أنه توجد بعض الأبيات هنا وهناك في مؤلفاته . وبمقتضى هذا التخصص تأثرت كتابته بالأسلوب العلمى وكانت تقسم بمحصر مواد البحث بشكل موجز ثم يقبها بالدراسة التفصيلية .

(١) كلمة فارسة تعنى « مدينة جديدة » . ✓

(٢) جاء مع السلطان محمد الفاتح إلى بروسالس وفضله اعتنق معظم سكان القسرى المجاورة لبروسالس الاسلام « بوسنه ومرسك ولايت سالنامه سى ، ١٣٠٥/١٨٨٧ ، إيفاز دده ص ٧٦ .

تجدد كتب الشيخ حسن كافي الإلهي كتيباً جديدة تناولت المنطق والنفس
 والفقاه والبلاغة وكل ذلك باللغة العربية . ولا نذكر بعض هذه المؤلفات في نهاية تأليفه
 المسمى « بنظام العلماء إلى خاتم الأنبياء » حسب تواريخ تأليفها ، ونظراً إلى أنه
 ألف هذا الكتاب سنة (١٠٤٨ هـ) وتوفي (١٢٤٣ هـ) فلا شك أنه كان لديه الوقت
 الكافي ليكتب بعض التأليف الأخرى . وما يؤكد ذلك بعض تصنيفاته الموجودة في
 المكتبات الشرقية في البوسنة وخارجها . وذكر الأفاضل في نهاية كتابه « نظام
 العلماء » المؤلفات التالية :

- ١ - رسالة لفظ جلي ،
- ٢ - مختصر الكافي من المنطق
- ٣ - شرح المختصر إلى آخر نصورات
- ٤ - حديقة الصلاة
- ٥ - سميت الوصول إلى علم الأصول
- ٦ - شرح سميت الوصول إلى علم الأصول
- ٧ - أصول الحكيم في نظام العالم
- ٨ - تمهيد النخيل
- ٩ - روضات الجنات في أصول الاعتقادات
- ١٠ - نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء

أما مؤلفاته الأخرى المذكورة في بعض المراجع أو التي وجدت فهي :

- ١١ - شرح مختصر القدوري - أربعة مجلدات
- ١٢ - أزهار الروضات في شرح روضات الجنات
- ١٣ - المنيرة

- ١٤ - نور اليقين في أصول الدين ،
 ١٥ - شرح صحيحين التلخيص ،
 ١٦ - رسالة في بعض المسائل الفقهية .
 ١٧ - شرح كافية ابن الحاجب ،
 ١٨ - تاريخ غزوة أكر ،
 ١٩ - شرح مقدمة الصلاة للفنارى ،

وقال محمد ظاهر بروغلى (١٩٦٩) كان حسن كافي الأحمصارى البوسوى يقول
 « الشعر بالغات الثلاث العربية التركيبية والحجازية غير أنه لما بقى من شعره
 قليل جداً » .

مشكلات عصره :

واجهت الامبراطورية العثمانية فى الفترة التى عاش فيها الأحمصارى المرحلة الأولى
 لاندثار نظامها الاقطاعى المسمى بـ « نظام تيار » الذى أسسته وقامت عليه قوة
 الدولة العثمانية وطاقتها ، وبهذا دخلت الدولة مرحلة التأخر وبدأت بالتدهور
 والمخاطط : وفى نهاية القرن السادس عشر انتهت فتوحات العثمانيين ونقص دخل
 الخزانة الحربية التى كانت مصدراً أساسياً لى الطبقة الحاكمة فى الدولة .

وكانت هذه الخزانة الحربية تغطى جميع النقص الاقتصادى وتخفف من المشاكل
 التى كانت تقوم بين الحكومة المركزية ومختلف الولاة فى المناطق ، أما الآن فإنها
 بقيت بدون تلك المنافع وظهرت المشاكل المختلفة فى أوضح أشكالها .

وباندثار النظام الاقتصادى العثمانى ، ومع التطور الكبير الذى ظهر بثبات المدن

(١) عثمانى مؤقلى ص ٢٧٧ .

الصناعية التجارية ، دخلت الدولة في مرحلة جديدة من الإنحطاط وعجزت الطبقة الحاكمة عن استخدام القانون الذى كان سارى للنفول بين السيد والسود ، وبانتقال الطرق التجارية العظمى من البحر المتوسط إلى المحيط الاطلنطى بسبب اكتشاف أمريكا ، ثم باتجاه الطرق البحرية صوب الهند تفقرت الدولة العثمانية أمام التنافس التجارى الدولى وبدأت تجارتها تكمد .

وبسبب التطور السريع فى صناعة الدول الغربية فى القرن السادس عشر وبداية السابع عشر بدأت تلك الصناعات تحتل الأسواق التركية وتفضى على المنتجات المحلية التركية . وأدى اندثار النظام الاقتصادى التركى العثمانى ، نظام تيمار ، إلى هبوط الإنتاج اليدوى الحرفى فى المدن والقرى ، إذ أن تطور القوى الإنتاجية الصناعية سبب ضغطاً كبيراً فى إنتاج الحرف الصغيرة .

ونلاحظ أن تفوق الإنتاج الصناعى فى الغرب تزايد بلبسة زاد معها ضعف الإنتاج الحرفى فى تركيا ، حتى أصبح ذلك الخطر يشمل جميع أصناف المنتجات الحرفية .

وبدأت الدولة تدخل مرحلة صعبة جديدة بسبب ضرورة الدفع بالذهب للبضائع المستوردة من البلاد الغربية الصناعية . وفى نفس الوقت ضعفت صناعة لتمديدن ، ولم يكن دخل للتاجم كافياً لسد حاجات الدولة ومصروفاتها ، وأدى هذا إلى اغلاق كثير من مناجم المادن النفيسة .

أزمة داخلية :

وإل جانب الأزمة الاقتصادية فى الدولة العثمانية فى القرنين المذكورين ظهرت عوامل داخلية أدت إلى سرعة انحطاط الأمبراطورية ، منها ضعف القوة الداخلية ونظام الضبط والربط حيث بدأ السلاطين والأمراء والولاة يعيشون فى ترف على حساب التبر

كما بدأ يجمع رأس المال في أيدي بعض الناس مما أدى إلى زيادة الأزمة المالية للحكومة وكانت الدولة تنجح أحياناً في التغلب على بعض الصعوبات في تلك الفترة لسد حاجات الجيش والمصار غير للتعبئة بمسحة كبيرة ومناورات مختلفة مثل انقراق السوق بالنقد مع ضعف الرصيد الذهبي وتداول هذا النقد الضعيف أسهم في ظهور ثورات واسعة النطاق.

ونجد في أواخر القرن السادس عشر أن قوى السلاطين التي كانت غير محدودة في السابق بدأت تنطق بإرادة حراسها الانكشاريين، حتى قاربت على الزوال ، وكل محاولة من قبل السلاطين لأخذ زمام القيادة من جديد كانت تؤدي إلى إزاحة الدماء والتمرد، وفي النهاية إلى قتل السلاطين أو عزلهم عن الحكم .

الخطر من الخارج

لاشك أن القوى الأوروبية القائمة في ذلك الزمن أسهمت في اضعاف الامبراطورية العثمانية كما أسهمت في ذلك الاختراعات الجديدة المختلفة في الغرب، وخاصة في الفن الحربي الذي أدى إلى إنتاج الأسلحة الحديثة. وكانت الدولة العثمانية منزعجة تمام الانزال عن كل اختراع وتقدم، فتراجعت أمام التفوق الأوروبي .

وفي الوقت الذي ضعفت فيه القوى العثمانية قويت على حدودها الشمالية دول كبيرة مثل النمسا وروسيا.

وفي أوائل القرن السابع عشر كانت القوات العثمانية لا تثير الخوف أو القزع عند الدول الأوروبية، بل أن تركيا اعترفت بالنمسا كقوة مساوية لها ، وألقت الاناوه التي كانت النمسا تدفعها إليها إلى عام الف وستائة وستة .

وهذا برهان واضح على أن قواها قد انخفضت وضعفت، وهذا الاتفاق يعنى

انتهاء سلسلة طويلة من النزوات التركية في المغرب ، نعم ، نحن لانستطيع انكار محاولة
جديدة للمغاربة بنية التوفيق وعودة نفوذهم للمسلمين والمسكرى القديم مثل ما حدث
لثناء محاصرة (تونس) عام الف وسبعمائة وثلاثة وعشرون غير أن هيبته المحاولة انتهت
بانهزام كامله للقوات المغربية .

هذا إلى ماساد الدولة من عناصر الرشوة والفساد والبنى والأمراض وعدم طاعة
الجيش للمستولين والإمراء، وقد تحدث الشيخ حسن كافي في رسالته «اصول الحكم في
نظام العالم» عن هذه الأمور .

رسالة اصول الحكم في نظام العالم :

فلما اتضحت علامات اضمحلاله السلطة الثانية في آخر القرن السادس عشر للبلاد
وابتداء القرن السابع عشر حاول كثير من العلماء والفكرين أن يبينوا في كتبهم
وربالاتهم أسباب الاضمحلال وعلاماته .

وقد كتب بعض العلماء والفكرين عن المسلمين قبل ذلك ككتاب عن السياسة والإدارة
مثل الفيلسوف أبي نصر الفارابي في «السياسة المدنية» وابن تيمية ورسالته «السياسة
الشرعية في اصلاح الراعي والرهية» والإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي في كتابه
«التبر للسلوك في نصيحة الملوك» . والعالم الجليل الذي كتب كتاباً مفيداً من هذا الباب
هو تاج الدين عبيد الوهاب السبكي المتوفى سنة ٧٢١ هـ بعنوان «معيد النعم ومبيد
النقم» ، وكتب أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري للطرطوشي المالكي كتاباً
بشأن هذا الموضوع وسماه «سراج الملوك» كما صنف نظام الملك (قتل ٤٨٥/١٠٩٢م)
وهو وزير ملكشاه كتاباً سماه «سياستنامه» وكتب في هذا الموضوع أيضاً «كوجي

بك « مستشار السلطان مراد الرابع والسلطان ابراهيم الأول عدة رسائله وأشار فيها الى ضعف السلطة التركية في زمانه .

ومن بين الذين كتبوا في هذا الموضوع كان الشيخ حسن كافي الانصارى في رسالة سماها « اصول الحكم في نظام العالم » وكتبها أولاً باللغة العربية ثم ترجمها بناء على رغبة المستولين إلى اللغة التركية. ودرس الانصارى تلك المسائل والقضايا بما تستحقه من جد .

مرض الانصارى في هذه الرسالة نظرياته وآراءه في نظام المجتمع والدولة، وذلك يتعلق في الدرجة الأولى بالدولة العثمانية، ولكنه لا يهدف بها خلق نظام اجتماعي جديد، أو بحثاً في فلسفة الدولة مثل ما قام به مثلاً ابن خلدون في مقدمته، بل يحاول أن يحل مشاكل الوضع الذي كان يباثراً آنذاك في البوسنة والدولة العثمانية وأن يشير إلى العوامل التي يمكن أن تحفظ مجد العثمانيين وقوتهم، وبالآخرى يشير إلى الأخطاء التي تقود لاحالة إلى انحطاط المجتمع والدولة .

وفي هذا التحليل تبديده بتصرفات أجهزة الدولة وعنسب السلطة كالأمراء والباشوات وفواد الجيش، بل يمكننا القول أنه كان يقصد بتقدمه هذا على جهاز إداري في الدولة بما في ذلك السلطان نفسه أو ولي الأمر أياً كان لقبه .

ومع ذلك فهو يعرض فكرته على أنها يمكن أن تطبق كذلك على الإمامة التي يتوطنها المسلمون، بل وعلى المناطق التي يعيش فيها غير المسلمين .

ونحن نجد في هذه الرسالة شيئاً من التناقض فالذليل يتحدث عن صير المجتمع في طريق الانحطاط بسبب الفساد وتهمان العمالة والظلم والطغيان وإحلال التنظيم وعدم مراقبة الجيش، وبسبب الالتفات إلى التعة واللهو والرغبة في النساء واستخدام الرشوة

وما أشبه ذلك . على حين أنه في الوقت نفسه ينسب إلى كبار المسئولين صفات الايمان
والعدالة والتنظيم والتواضع والبساطة في الحياة والتقدير في المسكر وأعمال الحـبـر
وقيام النظام واعادة السلام والأمن والتقدم . الخ .

وقد ظهر التناقض في أن كل شيء بدا على مايرام عند الحكام بينما نرى المجتمع يسير
بخطوات سريعة نحو التدهور .

ويمكن أن يسر هذا المسلك من المؤلف على ضوء منهجه وفي ظروف الحياة في
عصره .

كان للشيخ حسن كافي منهجه الذي يعتمد على أساسين :

الأول . العمل على العودة بالاسلام فكراً وسياسياً إلى عصره الأول .

والثاني . الجراءة في الحق وهي ضرورة لتحقيق الأساس الأول .

ولما لم تكن لديه تلك الجراءة ليقول ما يقصد بصراحة وليوجه تقده إلى الجهات
العليا - خوفاً من الدسائس في القصر السلطاني، وعند الأمراء وخوفاً من أن يصله،
«الحفيظ الحريري» المهدي من قبل السلطان لكل ساخط أو ثائر أو مشرد أو حق
مصالح، وأكل من يمرض ارادله، وبسبب عمليات الاغتيال المختلفة نجده يدافع عن
السلطان وبعض الوزراء والأمراء الذين كانت سيوفهم وخناجرهم تلوح فوق رؤوس
فرسان البوسنة .

وليس هذا فقط بل كان يمدحهم ويرفع من قدرهم ومكاثمهم في مقدمات تأليفاته
أو خاتماتهم، مقدمات لهم نياشين المجد والنصر والعدل والحكمة والتنظيم، والأعمال
الخيرية ... الخ .

لقد كان الشيخ حسن يرى أن الجراءة لا بد أن تكسب شيئاً من أسلوب سياسي

ومهارة تملو دسائس الحاقدين، ولا بد أن يستعمل شيء من الحيلة لتنفيذ فكرته، وأن هذا الأسلوب وهذه المعاملة لا بد منها لتحقيق الأساس الأول.

أما للسائل التي ناقشها الاقتصارى في هذه الرسالة فالتنا نبعدها في بعض المصادر العربية. وأول ما ناقشه الاقتصارى في الفصل الأول من رسالته كانت مسألة المدالة عندما قال: «الأصل الأول في سبب نظام السلطنة وامتدادها، العمدة في المدالة وحسن السياسة». وناقش مسألة تفويض الامور إلى أهلها ومسألة أداء الامانة واستعمال الأصلاح. وتجد هذا عند ابن تيمية في كتابه «السياسة الشرعية في اصلاح الراعى والرعية» الذى تحدث أولاً عن استعمال الأصلاح في الولايات وأداء الأمانات (١).

ومسألة العدل نبعدها أيضاً في كتاب «سراج الملوك» للطرطوشى (٢)

ومسألة تفويض الامور إلى الأصلاح نبعدها عند السبكي (٣) كما ناقش الاقتصارى مسألة اختيار وزير عادل مصلح ونبعدها عند الطرطوشى أيضاً (٤). وجعل الشيخ

(١) السياسة الشرعية ص ١٧.

(٢) في الباب الحادى عشر في بيان معرفة الحصال التي هي قواعد السلطان ولايات لها دونها وعند ذلك يقول: «فأول الحصال وأحقها بالرعية العدل الذى هو قوام الملك ودوام الدولة» ص ٥١-٥٤، كما تحدث عن العدل في مناسبات شتى مثل: قالوا ظفر الملك بدموه على حسب عدله في رعيه» (ص ٧١ وفى ص: ١١٨ و ١١٤ - ١١).

(٣) في كتابه المذكور «معيد النعم ومبيد النقم» الذى يحتوى على ما يحفظ للإنسان في حياته النعمة والذى لا يحقق إلا بأن يقوم كل امرئ بما يجب عليه ويؤدى حق العمل الذى خص نفسه به وبناء على ذلك قسم الناس إلى مائة وإثنى عشر صنفاً (أو ثلاثة عشر) حسب منهم في الحياة.

(٤) «سراج الملوك» ص ٧٠، ١٤١.

حسن كافي الاقحصارى الأصل الثاني من رسالته خاصاً بالمشاورة والاستشارة فى
الرأى والتدبير، وكذلك فعمل ابن تيمية فى الفصل السابع من رسالته المذكورة
«الرسالة الشرعية» كما تحدث الطروشى عن أهمية المشاورة فى صفحات من كتابه
المذكور (١).

وقسم الاقحصارى الناس حسب عملهم إلى أربعة أصناف ، ونجد ابن تيمية
صنّفهم إلى أولى الأمر والعلماء وهم الذين إذا صلحوا صلح الناس (٢) ، وفى مكان
آخر أن الناس أربعة أصناف (٣) . كما نجد نوعاً من تقسيم الناس حسب أعمالهم
لدى الطروشى أيضاً (٤).

تناولت رسالة الاقحصارى مسألة تبجيل العلماء وتحدث عنها ابن تيمية (٥) .
أيضاً وناقش الاقحصارى بؤادر انحطاط الدولة كما ناقشها الطروشى (٦) وبحث
الاقحصارى عن استعمال آلات الحرب والقتال وتدريب العسكر وتحريضهم كما تحدث
عن هذه المسألة للهمة الطروشى (٧) . وبالرغم من ذلك فإن الاقحصارى لم يقلد
القدماء فى هذه الرسالة ، بل كان له منهجه الخاص . وذلك أنه وإن لم يجب عن باله
مرة واحدة الشرعية ، لكنه لم يتكلم عنها كما جرى عند ابن تيمية والسبكي
والطروشى ، بل أخذها كحقيقة ثابتة لا بد من تطبيقها . وربط للواد التاريخية
فى رسالته بالحقائق الواقعية التاريخية التى حدثت فى عصره وكان أكثر من الآخرين
معالجة للوقائع البائرة .

-
- (١) «سراج الملوك» ص ٥٣ كما خصص الباب السابع والعشرين للمشاورة والنصيحة.
 - (٢) «السياسة الشرعية» ص ١٦٢ .
 - (٣) نفس الكتاب ص ١٦٧—١٦٨ .
 - (٤) «سراج الملوك» ص ١٣٨—١٣٩ .
 - (٥) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ٥٠—٥١ ، ١٦٩ .
 - (٦) سراج الملوك للطروشى ص ٥١—٥٥ .
 - (٧) نفس المرجع ص ١٧٣ .

المخطوط :

اعتمدنا في تحقيق نص رسالة « أصول الحكم في نظام العالم » على المخطوطة رقم : ١٩٢٨ ومخطوطة رقم : ٢٢٧٠ بمكتبة المغازي خسرو بك بسرايفو، وسنرمز إلى المخطوطة الأولى بالحرف «ا» في حين سنرمز إلى المخطوطة الثانية بالحرف «ب»

ومخطوطة رقم ١٩٢٨ مكتوبة بخط نسخي على ٢٥ صفحة كسبته جنقي زاده مصطفى بك بن فيض الله بن اسماعيل في اليوم الثالث والعشرين من شهر شوال لسنة تسع وثمانين ومائة وألف . وهي مخطوطة رديئة تحتوي على أخطاء كثيرة .

ومخطوطة رقم ٢٢٧٠ مكتوبة بخط عثماني جميل واضح ومتن الرسالة مكتوبة باللغة العربية بالحروف الكبيرة وشرح الرسالة مكتوب باللغة التركية بالحروف الصغيرة ولا يعرف كاتبها ولا تاريخها إذ ليس هناك إشارة ما إلى ذلك . وهذه المخطوطة في ظننا أقدم عهداً بكثير من المخطوطة السابقة وتمتاز بالهدوء البالغة . وقد اعتمدنا عليها اعتماداً كبيراً إلى جانب مخطوطة جنقي زاده مصطفى للذكورة .

أصول الحكم في نظام العالم

حمدا لك (اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) (١) ، وصلاة على رسلك محمد سيد الأنبياء ، وعلى آله وأصحابه أولى الأبصار والآراء ، ما دامت الأرض ودارت السماء .

وبعد : فإن الفقهير إلى الله البار ، كافي الاقتصارى (٢) ، أعانه الله فيما استمانه (٣) وصانه عما شأنه ، يقول :

لما شاهدت سنة أربع وألف (٤) في نظام العالم خلا ، وانتظام أحوال بني آدم زللا ، خصوصا في دار الاسلام (٥) أصلحها الله وسلها إلى يوم القيام . قليلا بعد قضاء السنة والفرض ، (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض) (٦) فألهمني بلفظه شيئا من الحكم (٧) وانمضي من فضله مالم أكن أعلم ، لقي على قلبي قوله (أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (٧) وشرح صدرى للتأمل في أحوال الناس وأسباب تغيرهم ، فلما تأملت بمونه اللطيف ، فيما كان منذ عشرين سنين ونيف انكشف لى في ذلك وجوه وأسباب ، والله أعلم بالصواب ،

(١) سورة عمران آية : ٢٦ .

(٢) حسن بن طورخان بن داود بن يعقوب الاقتصارى الذئبى .

(٣) في نسخة « ا » — استغاثة .

(٤) ثار أمراء الاردل والافلاق ضد الأتراك وبدأ البنى والفساد وخرج السلطان محمد بن

مراد بن سليم بن سليمان للفرزة المعروفة بفرزة « أكر » .

(٥) يقصد المؤلف الدولة العثمانية التركية .

(٦) سورة الانعام ، آية ٢٩

(٧) في « ب » الحكمة .

(٨) سورة الرعد آية : ١١ .

توجه الأول :

الإهمال في العدالة (والضبط بحسن السياسة) (١) وسببه عدم تفويض الأمور إلى أهلها (٢) .

الثاني : السامحة في المشاورة (والرأي) (٣) والتنديب وسببه المعجب (والسكبر) (٤) في السكبر واستكفاهم عن مصاحبة العلماء والحكماء .

الثالث : الساهلة في تدبير العسكرو استعمال آلات الحرب عند محاربة الأعداء وسببه عدم خوف العسكر من الأمراء ، ثم سبب جميع الأسباب ، وغاية ما في البال طمع الارتشاء ورغبة النساء ، فاستخرت الله تعالى بأكيا ، وعن نكبات الدهر شاكيا ، فاخارني أن أكتب مختصرا مفيدا في هذا الباب يشمل على كلمات ، من جوامع الحكم ، في تجديد قواعد النظام ، وكتابا سديدا يتضمن خلاصة أقوال أولى الألباب من للمارف والحكم في تأييد بيان الانتظام ، فاستصفيته من كتب قدماء العلماء وكبراء الحكماء ، خصوصا من أنوار التنزيل وروضة العلماء (٥) ، جملة الله العلي الأظى عناية للأمراء ، وهداية للوزراء ، وأسوة للحكماء ونصرة للفقراء ، وربته على مقدمة وأربعة أصول وخاتمة . وسميته بأصول الحكم في نظام العالم (٦) ، ثم

(١) سقطت من نسخة «ب» .

(٢) في نسخة «ب» إلى أهلها .

(٣) سقطت من نسخة «ا» .

(٤) سقطت من نسخة «ب» .

(٥) «٠٠٠٠» ويسمى أنوار التنزيل وروضة الأخبار للزعمري «أصول الحكم في نظام العالم باللغة التركية ص ٥ للاحصاري وفي «كشف الظنون» لحاجي خليفة المجلد الأول ص ١٨٩ «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» في التفسير للفاضل الإمام العلامة ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن محمد البيضاوي الشافعي .»

وفي ص ٩٢٢ «روضة العلماء للشيخ أبي علي حسين بن يحيى البخاري الزندوستي . . . سميت روضة العلماء وكان اسمه الأول روضة المذكورين» .

(٦) في نسخة «ب» سميت بأصول الحكم في نظام العالم وربته . . .

خدمت به لحضرة الوزير المشير الصالح ، والأمير الكبير السامح خلاصة الوزراء ،
 سلالة الكبراء ، للأمر بحراسة حدود دار الاسلام بالسيف والقلم المنصور برياسة
 الولاية الاعلام من أرباب الطبل والملم ، رئيس المسامر للصورة السلطانية حافظ
 الدولة القاهرة العثمانية مسمى الوزير التقى الحافظ أحمد باشا (١) حفظه الله عملا يشاء ،
 ويسره لكل ما يشاء (٢) ، صنه اللهم عن ريب للنون ، أعطه عمرا ينتهي فيه
 السنون (٣) ، والله المستعان وعليه التكلان .

للقسمة

في سبب نظام العالم : وهو انه تعالى لما قدر بقاء العالم ببقاء نوع الانسان إلى
 وقت معلوم ، وبقاؤه بالتناسل ، وهو بالماشر والتعامل ، احتيج إلى أسلوب يتضبط
 به أمر الانسان على وجه أحسن في جميع الأزمان . فيالهام من الله وتوفيق (٤) رب
 ودماء العلماء وحكاماء القديماء بنى آدم على أربعة أصناف ، صنف السيف وصنف للقلم ،
 قسنت للحرث والزراعة وصنف للحرفة والتجارة ، وجهلوا التصرف في الجميع (٥)
 ملكا وإمارة .

أما الصنف الأول فهم الملوك والسلاطين ونوابهم وسائر المسكر ، فالواجب
 عليهم ضبط جميع الاصناف والحفاظة بالمدالة (٦) وحسن السياسة بتدبير العلماء والحكاماء ،

(١) هو بوسنوى أيضا .

(٢) في النص « ٠٠٠ ويسره كل ما يشاء ٠٠٠ »

(٣) لم يذكر الاقتصارى في شرح رسالته « أصول الحكمة في نظام العالم » باللغة التركية كلمات
 مدح الوزير أحمد باشا إذ أنه قدم شرح الرسالة إلى السلطان وكبار المشولين الآخرين عن طريق
 الوزير الأعظم إبراهيم باشا نوسهرلى .

(٤) في نسخة « ب » — وتوفيقه .

(٥) في نسخة « ب » ٠٠٠ والكل .

(٦) في نسخة « ب » ٠٠٠ بالعدل .

وللقاتلة والمحاربة لدفع الأعداء ، والعمل بسائر ما لا بد منه للإمراء ، كما
سيجىء أن شاء الله تعالى .

وأما الصنف الثانى فالعلماء والحكماء ، وسائر اصحاب الدعاء ، من الصلحاء
والضعفاء ، فليهم محافظة أوامر الله ونواهيه بالكتابة (١) والرواية وتبليغ أحكام
الشريعة إلى جميع الاصناف ، والرأى والتدبير وللشاوره وتعليم الدين والديانة ،
وترغيب الخلق على العبادة وحسن للعاشره والدعاء بالخير لصلاح الجميع عموما
ولصلاح السلطان خصوصا . وأما الصنف الثالث فأهل الحرث والفرس المعروف في
في زماننا بالرعايا ، فليهم السعى والجهد في أسباب العاش بالحرث والفرس والدواب
والانعام ، لكفاية جميع الاصناف . فهذا أفضل الأعمال بعد العلم والجهاد .

وأما الصنف الرابع فأرباب الصنائع وأصحاب التجارات ، فليهم السعى فيما
لا بد منه للإصناف من الأمور الصناعية وأحوال التجارة وما يناسبهم مما يتفق به
الخلق وأما للكلف الخارج عن الأصناف فمند الحكماء الاسلامية لا يترك على حالة
بل يجبر على أن يكون من أحدها وعند بعض الفلاسفة قيل : يقتل لأنه يكون كلالا
على الناس ، فنبات كل صنف على عمله المخصوص له يوجب نظاما في الملك وأعماله
يوجب خلافه . فلم من هذا أنه لا ينبغي أن يكلف أو يجبر صنف على عمل صنف
آخر لأنه يوجب اختلالا وتشوشا كما وقع في هذا المصير لجبر الرعايا وأهل الصنائع
على المحاربة باهمال للمسكر فيها (حيث أهمل أهل المسكر في دفع الأعداء ثم اجبروا
الرعايا وأهل الصنائع على المحاربة فتمطل أمر الزرع والحرث فتشوش أمر الماش
على الكل وظهر القحط والتلاء وتوجه النعم وعم البلاء ولمعنى أن هذا خلل عظيم في
الملك أصلح الله بمنه منه (٢) . وهذا من سنة احدى وألف إلى هذا الآن . وما دام

(١) في نسخة «ب» . . . الكتاب .

(٢) كتبت هذه العبارة على هامش المخطوطة باللغة العربية أما باللغة التركية فذكرت في مكانها

محافظة السلطان على الترتيب القديم بموجب الشرع لتفويض بيزاد الملك نظاما ، وأحوال
بن آدم ، والسلطنة قوة ، وإذا وقع الأهل في رعاية هذا الأسلوب ، وحماية ذلك
السمت للرغوب ، يسرى الفساد في الملك والضعف إلى الامارة في الجوانب الاربية ،
وربما يوجب الانتقال إلى الغير . اللهم احفظ للمالك الاسلامية من الاختلال ، وأمن
الدولة العثمانية من موجبات الانتقال آمن ياذا الجلال والجلال .

الاصل الأول

في سبب نظام السلطة وامتدادها .

العمدة فيه العدالة وحسن السياسة . قال الله تعالى (ان الله يأمر بالعدل
والاحسان) (١) ، يندرج فيه جميع أمور الخير للرعية والسلطان .

قال النبي عليه السلام : زين الله السموات بالثلث والشمس والقمر والنجوم
وزين الأرض بالثلاث : بالعلماء والطر ومطغان عادن ، وقال عليه السلام العدل من
الهدى وقوة السلطان . قيل : من حسنت سياسته دامت رياسته . قيل لانتم الرياسة
إلا بحسن السياسة ، يقال : ثبت الملك بالعدل .

ارد شيربازك : إذا رغب الملك عن العدل رغب الرعية عن الطاعة ، وعنه :
لاسلطان إلا برجال ولا رجال إلا بالمال والامال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن
السياسة ، قيل : لا يكون العمران إلا حيث يعدل الساطان .

قيل : دولة للوك في العدل ، قيل : خير لئلك من احسن في فعله ونيته وعدل
في جنده ورعيته . سأل يزدجرد حكما باصلاح الملك ، قال : الرفق بالرعية وأخذ
الحق منهم بغير عنف والتودد إليهم بالعدل وأمن السبل وانصاف للظلم . عبد الله
بن ظاهر سأل بعض الزهاد كم تبقى هذه الدولة فينا ؟ قال مادام بساط العدل في

(٢) سورة النحل ، آية : ٩٠

هذا الايوان ، (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (١) ، قيل من طال غفلته زالت دولته (٢) .

قيل : الغافل من الملوك (من) (٣) اجتمع فيه خصلتان الانهماك في اللذات واضاعة الفرص . بعض الحكماء : لاسانس مثل العقل ولا حارس مثل المدل ولا سيف مثل الحق ولا عون مثل الصديق قيل : المدل حصن وثيق في رأس جبل أنيق ، لا يحطمه السيل (ولا يهدمه منجنيق) (٤) ، قيل : الملك العادل مكنون بمون الله وعروس بمين الله . قيل لما مات النوشروان طافوا بتابوته في جميع مملكته وينادى منادى « من له حق علينا فليأت » فلم يوجد أحده عليه درهم في ولايته . فيا عجباً من هذه القصة العجيبة ، فان فيها لعبرة عظيمة (٥) للملوك الاسلام وعبرة كبيرة لامرأته لو كانوا يتفكرون :

ثم لا بد للسلطان من أن يفوض كل أمر إلى أهله كما أشار إليه قوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها (٦) وإلا فسدت قلوب للمستحقين عليه فيرتب الخلل كما وقع في هذا الزمان ، فلن ألف من العلماء والنصحاء للملك قليل وعدو واحد كثير : ابن رومي :

« فما بكثير الفسدخل وصاحب وإن عدوا واحدا لكثير »

قال عليه السلام : من ولي واحدا وفي رعيته أولى منه فقد خان رسوله وجماعة

(١) سورة الرعدة آية: ١١

(٢) في النص « ٠٠٠ من طال غفلته زال دولته »

(٣) سقطت من نسخة «ب»

(٤) سقطت من نسخة «ب»

(٥) في نص نسخة «ب»... لعبرة عظيمة .

(٦) سيرة النساء، آية ٥٨

للساميين . قيل : إذا ساد اللثام باد الكرام . إذا ارتفع الوضيع انضغ الرفيع ، إذا ملك الاراذل هلك الافاضل ، دولة الاشرار عنة الابرار ، ومن أجل التناؤم دولة الاكارم قيل لبرز جهمر : كيف اضطريت أمور آل سامان وفيهم مثلك ؟ قال : استعانوا بأصاغر العمال على أكابر الأعمال ، فآل أمرم إلى ما آل . وفي الجواب تلييه عظيم في هذا الزمان إلى آل عثمان أبد الله تعالى دولتهم (وايقظهم) (٤) إلى اقتضاء الزمان واقتراض الدوران :

ثم لابد للسلطان من أن يختار وزيراً عاذاً مصلحاً ، فإن الوزير إذا صلح صلح الملك وإذا فسد فسد ، اللهم اصلح . قال النبي عليه الصلاة والسلام إذا أراد الله بأمر خيراً جعل له وزير صدق ، أن نسي ذكره وأن ذكره أعانه ، وإذا أراد غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره . وإن ذكر لم يعنيه . قيل لانسأل عن السلطان من هو ، وانظر إلى الوزير من هو . كان لاسكندر وزير قد (١) وزير له مدة طويلة ولم ينهه على عيب فقال له يوما : « لاحتاجة لي في خدمتك فإني إنسان ، والإنسان لا يخلوا من الخطأ والنسيان ، فإن لم تقف مني (٢) على خطأ فأنت جاهل ، وإن وقفت وسترت فأنت خائن . يقال : الأمين من الوزراء من يصحب الملوك بالصدق في المناصحة ، والخبائن من يصحبهم بالمدارة واللداهنة .

ثم يجب أن يجعل الملأ والصلحاء وأهل الدعاء ويكرمهم (ويعظمهم) (٣) ويحلب قلوبهم بإحسانه وأنه يسمعه ويستعين بدعائهم ومشاورتهم ورأيهم وتدييرهم ،

(٤) سقطت من نسخة «ب»

(١) سقطت من نسخة «ب»

(٢) سقطت من نسخة «ب»

(٣) سقطت من نسخة «ب»

ويستمد على أقوالهم فوق ما يعتمد على غيرهم (٤) إذ لا يقع منهم خيانة ولا حيلة ولم
تسمع قط فإيهم ورثة الأنبياء وسبب صلاح الدنيا والمعقب . يقال إنما تقوم الدنيا
بأربعة يعلم العلماء ، وعدل الأمراء ، وعبادة الصالحاء ، والأسخياء . قال النبي عام
النظر في وجوه العلماء عبادة وقال عليه السلام : يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء
يوم القيامة ، فلا يفضل أحدهما على الآخر . قيل : خير الأمراء من يجالس العلماء
وشر العلماء من يجالس الأمراء . قيل : خير للوك من تمكن في قلوب رعيته محبته
كما تقرر هيبته بخمسة أشياء : إكرام شريفها ورحمة ضيفها وإعانة لهيفها وكف
عدوان عاديها (وتأمين سبل رانحها وغادها) (١)

ولا بد للملك أن يكون مبسوط اليد فإن الخلق لا يتبعه إلا لترض دينوى
ولا يكون إنامه وإحسانه مخصوصاً بطائفة لأن الإمامة موقوفة على المسكر والعلماء
والحكماء والبلغاء والفقراء وأهل الحرفة .

قيل : الإنسان عبد (٢) الإحسان . بعض الحكماء : العجيب ممن يشتري العبيد
كيف لا يشتري الأحرار بفعله ؟ الشافى رحمه الله (نظام) :

أحسن إلى الأحرار تلك رقابهم وخير تجارات الكرام اكتسابها (٣)

على رضى الله عنه : أحسن الكنوز محبة القلوب . قيل : من حفظ ماله ضيع
رجاله . قيل لاسكندر : لم لا تكثر الأموال كما كان تفعل للوك ؟ .

فقال « كنوزى هم أصحابى ، أكنز الأموال فيهم لافى البيوت . قيل : هـ »

(١) فى نسخة «ب» — «... على قول غيرهم» .

(٢) سقطت من نسخة «ب»

(٣) فى الأصل : «... عبيد الاحسان»

(٤) وزن هذا البيت غير مستقيم تماما .

ليس له إحسان ليس له إخوان . أبو الطيب (نظم) :

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو إساة محرم
ولقد أحسن من قال (نظم)

حسن الفعل من الصلصال (١) مقصود وللأ بالفضل مذموم ومحمود
فإنه يرغم (٢) الإنسان أربعة العلم والحلم والإحسان والجلود
البسقى :

إذا لم يكره ملك ذاهبة فدعه فدولته ذاهبة
وله (نظم) :

من جاد بالمال مال الناس قاطبة إليه وللإ للإنسان فنان
من كان للخير مناعاً فليس له على الحقيقة إخوان وخلائق

من رقى درجات المهم ، عظم في عيون الأمم ، من كبرت همته كثرت قيمته .
بعض الحكماء : تلك للخلق كالجبل للأرض .

فلا بد من أن يكون وقوراً حليماً وصبوراً أميناً لا مستهجلاً في عقوبة رجل إذا
سمع في حقه شيئاً والا لا يأمن منه أحد فيفسد قلوب الرعية عليه . وإذا جلس مقام
أبيه لأن الحب والبغض يتوارثان فإنهم لا يكادون يخلون بينه وبين مكروهه ولا يقدم
أحداث القوم عليهم لئلا يفسد قلوبهم عليه . بل للملك أن لا يجالس الأحداث مطلقاً

(١) يريد بصلصال الإنسان باعتبار أصله .

(٢) في الأصل : « . . . » فإنه قد يرغم »

قيل : مجالسة الأحداث منسدة الدين .

فصل ، قيل : علامة أدبار دولة الملوك (١) ان يصحب الأحداث ومن لا عبرة له بالدواقب ، وأنت يقصد أهل مودته بالأذى وأن ينتقص خراجه عن قدر مؤنه ملكه وأن يكون تقريرية وتبعيده تاهوى لا للرأى والاستهانة بناصح العلماء .
قيل : علامة أدبار الإمارة : كثرة الطاعون وقلة العسارية . يقال ثلاثة تاجر الهلك إلى الملك :

— أن يتعاصر على عقل الملك اللذات والشهوات .

— وتحاسد الوزراء للمقتضى لتحالف الآراء .

— ونكول الجنود من الجلالد مع ترك الناصحة فى الجهاد . وأظهر العلامات : ترك الحمل بأحكام الشريعة وعدم المبالاة بتنفيذها وأفرجها : غلبة الظلم وشيوعه من العسكر وعدم المبالاة بدفعه ، فإذا وقع شىء من هذه العلامات من الملك أو ظهر فى ملكه يجب على الوزراء والعلماء أخباره (فى الحال) (٢) وعلى الساطان دفعه وتداركه بلا إهمال وإلا يفسد التوجه والمهجوم كما يمكن دفع المهجوم (٣) .

ابن عباس رضى الله (رفته) (١) قال النبى عليه عليه السلام أن من اشراط الساعة : اضعاء الصلاة واتباع الشهوات وكون الامراء خونة والوزراء فسقة فوثب سلمان رضى الله وقال باني وأمى إن هذا لسكائن ؟ قال نعم يا سلمان عندها قلب للؤمن يذوب كما يذوب الملح فى الماء ولا يستطيع أن يغير . قال أو يكون ذلك ؟

(١) فى نسخة «ب» الملك

(٢) سقطت من نسخة «ب» /

(٣) العبارة مضطربة — غير واضحة تماما ولعلها « والافعد قلما

الهموم

(١) سقطت من نسخة «ب»

قال نعم يا سلمان أن اذلل الناس يومئذ للمؤمن يمشى بين أظهرهم بالخسافة أن تسلم
اكلوه وأن سكت مات بنيفظه ، اللهم أذفع عن الدولة القاهرة العثمانية هذه للعلامات
بحرمة حبيبك محمد سيد السادات ، آمين يا قاضي الحاجات .

الاصل الثاني : للشاورة والاستخارة في الرأى والتدبير (٢).

قال الله تعالى (وشاورهم في الامر) (٣) ولا يخفى أنه عليه السلام كان اعلمهم
بجميع الامور وإنما قال هذا ليكون سنة وطريقة لامته . فينبغى للسلطان ونوابه
أن لا يستبد (٤) برأية بل يستشير كثيرا من العلماء والعقلاء وأهل التجربة من
أركان الدولة نحرزا عن الخطأ . قال النبي علم (٥) للمستشير معان . عمر رضى الله
عنه : ما تشاور قوم إلا هودوا إلى أرشد أمرهم . سليمان عليه السلام . يا بني لا تقطع
أمرا حتى تؤامر مرشد فاذا فلت فلا تحزن . قيل : متى بدأ بالاستخارة وثى
بالاستشارة لحقيق أن لا يضل رأية (٦) . يقال : من اجتهد رأيه واستتخار ربه
واستشار صديقه قضى الله في أمره ما أحب . الحسن : الناس ثلاثة : رجل ونصف
رجل ولا رجل نأما الرجل فذ الرأى وللشورة وأما نصف الرجل فالتى له رأى ولا
يشاور وأما الذى ليس برجل فمن لا رأى له ولا يشاور . قال عليه السلام لاصواب
مع ترك للشورة . قيل لا رأى لمن تفرد برأيه . يقال اعقل الرجال لا يستغنى عن

(١) في نسخة «ب»... في المشاورة والاستخارة والرأى والتدبير .

(٢) سورة آل عمران آية: ١٥٩

(٣) في نسخة «ا» — ١٠٠٠ أن لا يتشم .

(٤) عليه السلام .

(٥) في نسخة «ب» زيادة — اللهم انى أستخيرك بحملك وأستقدرك بقدرتك وأسألك
من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم
أن هذا الأمر خير لى فى دىنى ومعاشى وعاقبة أمرى فأقدرلى ويسره لى ثم بارك لى فيه وان
كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دىنى ومعاشى وعاقبة أمرى فأصرفه عنى واصرفنى عنه
واقدرلى الخير حيث كان ثم أرضنى به .

مشاورة أولى الالباب وأفره الدواب عن السوط ، وأورع النساء عن الزوج . على
رضى الله عنه نم للوازية للشاورة وبئس الاستمداد الاستبداد الارجاني (نظم) :

شاور إذا نابتك نائمه يوما وأن كنت من أهل للشورات
فالمين تنظر منها ماني ونأي ولا ترى نفسها الا بمرآة

كان عمر رضى الله عنه إذا نزل به الامر للمضل دعى للفتيان واستشارهم وقال : هم
أحد قلوبا . قيل رأى الشيخ كالزند الذى اتلم . ورأى للشاب كالزند الصحيح يورى
بايسراقتداح . الحكماء : اجمل سرك إلى واحد ومشورتك إلى الف . فيلسوف
الهند : بالرأى ينال ما ينال بالقوة والجنود . قيل : الرأى الشديد (١) ، أحمى من
الأيد الشديد . قال للنصور لولقة : خذ عني الثين لا تقل من غير تفكر ، ولا تعمل
من غير تدبير (٢) . قيل : الفكر للمقول امضى من الباتر للصقول . فضل بن سهل :
الرأى يسد ثلم السيف والسيف لا يسد ثلم الرأى . الحكماء : حازم فى الحرب خير
من لف فارس ، فان الفارس يقتل عشر أو عشرين ، والحازم قد يقتل جيشا كله مجزمه
وتدبيره . قال النبي عليه السلام « : الحرب خدعة » . قيل إذا لم تغلب فاحتل .
الحكماء : كن بجيلتك أوثق منك بنجدتك ، وبمحذرك أفرج منك بشدتك .
قيل للسكر ابلغ من النجدة .

قيل (نظم) :

الرأى قبل شجاعة الشجيمان هو أول وهمي المهل الثانى (٣)

لقمان : يا بني شاور من جرب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالتلاء

(١) فى نسخة «ا» — الرأى الشديد .

(٢) فى نسخة «ا» — «٠٠» من غير تدبير .

(٣) مطلع قصيدة ديوان المتنبي .

وأنت تأخذه بالجمان . الاسكندر : لانستخقر الرأي الجزيل من الرجل الحقير فإن
 الدرّة لا يستهات بها الموان غاصها (أنظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال) (١)

فصل قيل يفسد التدبير ثلاثة أشياء :

— أحدها كثرة الشركاء فيه لانتشار التدبير (وبطلانه) (٢) .

— والثاني تحاسد الشركاء لدخول الهوى والنرض .

— والثالث أن يملك التدبير من غاب عن الأمر المدير فيسه دون من باشره

فإنه يحقد للمباشر الحاضر (٣) .

على رضى الله عنه لاندخلن بخيلا (البنة) مشورتك (٤)، يدل بك عن الفضل ومدلك
 الفقير، ولا جباناً يضمفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشر ، فإن الجبن والبخل
 والحرص يجمعها سوء الظن بالله . فدل ما ذكر من محاسن الصمات وأحسن
 الاعتبارات ، (على) (٥) أن الرأي والمشورة من أهم المهمات ، وآتم المختارات ،
 وقد أهملنا في هذه الأيام ، وأسقطنا عن محل الاهتمام ، فلذلك توجه الخلل إلى
 الأمور ، ووقع الزلل والفتور ، صرف الله قلوب الأمراء والوزراء ، إلى أنجح
 آراء العلماء والمقلد ، وألف برحمته بين قلوبهم وجعلهم مصيبيين في جميع خطواتهم
 آمين يا أرحم الراحمين . (بحرمة محمد وآله) (٦) .

(١) سقطت من نسخة « أ » .

(٢) سقطت من نسخة « ب » .

(٣) في نسخة « ب » — . الحاضر المباشر .

(٤) سقطت من نسخة « أ » .

(٥) سقطت من نسخة « أ » .

(٦) سقطت من نسخة « أ » .

الأصل الثالث : وجوب استعمال آلات الحرب والقتال وتدمير المعسكر
ومخريضهم .

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) ، (١) أى تيقظوا واستعدوا
وقال الله (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) ، (٢) والحذر كل ما يتحصن به الغازي
كالدرع ونحوه ويشمل الحزم . والسلاح معروف فأحذر كل منهما فرض لازم فلا يجوز
تركها عند المحاربة ، وقد شاع في هذا الزمان تركها عند الرحف خصوصاً في ديارنا (٣)
وذلك لعدم مبالاة أمراء المعسكر باستعراض جنودهم بأنفسهم وإيهامهم في ذلك . وقد
وجب على الأمير أن يستعرض جلده بنفسه فينظر في درعهم وعددهم ولا يعتمد
في ذلك على أحد غيره كما كان هذا عادة للدوك السالفة .

استعرض اسلندر جنده فقدم إليه رجل على فرس أخرج لأمر باسقاطه فضحك
الرجل فاستعظم ضحكك في هذا المقام وقال (له) (٤) ، ما أضحكك وقد أسقطتك
قال أتعجب منك ، قال كيف ؟ قال تحمك آلات الحرب وتحق آلات التيسات بم
استقبلني ؟ فأجاب بقوله وأثبتته .

استعرض عمرو بن ليث عسكره فر به رجل على فرس أعجب فقال عمرو لمن
الله هؤلاء ، يأخذون اللال ويسمون أكفال نسائهم . فقال الرجل ، أيها الأمير لو
نظرت إلى كفل امرأتى لرأيت أهنل من كفل دابتي ، فضحك وأمر له بمال وقال
خذهُ وسمن به كفل دابتك وكفل امرأتك . وبالجملة إن استعراض الجنود وتبج

(٢) سورة النساء آية ٧١

(٣) سورة النساء آية ١٠٢

(٤) «في البوسنة» شرح أصول الحكم «للاحصارى» ص ٣٩

(٥) سقطت من نسخة «ب»

حذرهم وأسلحتهم واتخاذها ثم استعمالها هي السعدة في المحاربة والمقاتلة . فلا بد من الاهتمام في هذا الأمر خصوصاً في هذا العصر . ولعل ما شاهدناه في هذا التاريخ من المعجز عن المقاومة مع الكفار ليس إلا لإهمال هذا الأمر الخطير والفرص الكبير . وقد جوبنا في ديارنا (١) من خمسين سنة إن أعداءنا من أهل الحرب كلما اخترعوا نوعاً من الأسلحة واستعملوه غلبوا علينا ثم إذا اتخذنا مثله واستعملناه غلبنا عليهم بعون الله (الاملام) (٢) لقوة الإسلام . أما في هذا الزمان فاعداء بالفوا في استعمال بعض الأسلحة الحديثة كالبنادق ونحوها ، وأهمل عسكرينا في اتخاذ مثلها واستعمالها (٣) بل أهملوا في استعمال الأسلحة القديمة أيضاً ، فوقعوا فيما وقعوا هدام الله إلى الخير ونصرهم .

لعمري . المدة ليوم الشدة ، وعنه : من لم يركب الأهوال لم ينل الآمال .

ثم يجب التحريض على القتال . قال تعالى (حرض للؤمنين على القتال) (٤) وكذا يجب عنهم على الصبر والثبات عند القتال ، قال تعالى (فإن يكن منكم مائة صابرة يغابو مائتين وإن يكن منكم ألف يغابوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين) (٥) أي بالصبر والعمرة . قال عليه السلام « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعدوا أن الجنة تحت ظلال الصيوف » . على رضى الله عنه . الصبر مطية الظفر . قيل : للقتاليس كما يجذب الحديد يجذب الصبر الظفر . قيل : بالصبر على أيس الحديد ، تنعم في الثوب الجديد ، قيل لبعض بنى للهب : بما نلت ما نلت ؟

(١) « على حدود كرفاتيا » ، شرح أصول الحكم للاقتصاري ، ص ٣٨

(٢) سقطت من نسخة [١]

(٣) في نسخة [ب] (في اتخاذها واستعمالها) .

(٤) سورة الأنفال ، آية : ٦٥

(٥) سورة الأنفال ، آية : ٦٦

قالوا بصبر ساعة. قيل: الصبر درج يفضى بمن عرج إلى الفرج. قيل: الصبر مفتاح الفرج. عظامم الترك قالوا: يلبى للقائد في الحرب أن يكون فيه أخلاق من البهائم، شجاعة الديك وقلب الأسد وحملة الخنزير ووزغان الثعلب وصبر الكلب على الجراحة وحراسة الكركي وحذر الثراب وغارة الثوب. قيل: السلامة في الإقدام واللوث في الإحجام. قيل: الشجاعة صبر ساعة. أفرآسياب للشجاع محب حتى إلى عدوه والجبان مبغض حتى إلى أمه. هذا مشاهدة في حدود الروم خصوصاً في ديارنا (١) فإن بعض أهل الحرب من الكفار إذا شاهدوا الشجاعة من بعض غزواتنا أحبوه ومدحوه وقد يكون أهدوا إليه هدية وإذا أحسوا الجبن من بعض أبنضوه وذموه وقد يكون أرسلوا إليه بعض زى النساء (٢).

قيل: لا تصفر أمر من حاربت فإنك إذا ظفرت لم تحمد وإنت عجزت لم تحذر، ثم يبنى لأمر المسكر أن يوصى (٣) بعضهم ببعض. بعض العرب: مالتينا كتيبة (٤) وفيها على رضى الله عنه إلا أوصى بعضنا ببعض. كتب أبو بكر رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد رضى (٥) حين أخرجه إلى أهل الردة، اعلم أن عليك عيوناً من الله تراك (٦) فإذا لقيت المسدو فأحرص على اللوث توهب لك السلامة، أوصى الرشيد عبد الملك بن صالح أمير سريره فقال أنت تاجر الله لعباده فكن

(١) « حدود كرفاتيا » ، شرح أصول المحكم للاختصارى ، ص : ٤١

(٢) في نسخة «ب» (شيئاً من حلئ النساء)

(٣) في النص . . . أوصى . . .

(٤) سقطت من نسخة [ا] - (تى) وكتبت [كبة]

(٥) وضى الله عنه .

(٦) في نسخة [ب] زيادة - ... وتراك .

كالمضارب الكيس إن وجد ربحاً أنجر وإلا إستحفظ برأس المال ولا تطلب النسيئة
حق تحوز السلامة .

ثم السلطان لو اضطر إلى المحاربة بالضرورة (١) لا يتقدم بنفسه بل يكون تحت
رايته فتحصنا بمدده وعدده ويغير لباسه ساعة فساعة . وإذا جلس مكان العدو بالقهر
لا يتركهم أمراء لأن التنصب لا يخرج من قلوبهم . قد شاهدناه في هذا التاريخ (٢)
من أمراء ولاية بغداد وقره إفلاق واردل (٣) فإنهم خذلهم الله قد أظهروا التنصب
من مائة سنة ونيف (٤) ثم لما أحسوا الغفلة اغتموا الفرصة وفضلوا ما فعلوا ولمعري
(لو) (٥) وقع الإهمال في أمرهم بدل ما عدوا لما اعتادوا ، فلابد من التدارك -
(ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) (٦) .

الأصل الرابع : في أسباب الظفر والعون من الله تعالى وموجبات الهزيمة
أعاذنا الله .

المدة فيها الصلاح والتقوى في المسكر . قال تعالى (إن الله مع المتقين) (٧) ،
وقال (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) (٨) . وقال (استمينا بالصبر
والصلاة) (٩) ولا شك في أن الظفر مع العون ولا عون إلا مع قوم كان الله معهم .

(١) سقطت من نسخة [١]

(٢) في نسخة [ب] زيادة - ... سنة ثلاث وألف .

(٣) الولايات في رمانيا الحالية .

(٤) في نسخة [ب] - ... من خمسين سنة .

(٥) في نسخة [ب] - ... إن وقع .

(٦) سورة البقرة ، آية ٢٥٠

(٧) سورة البقرة آية ١٩٤

(٨) سورة النحل ، آية : ١٢٨

(٩) سورة البقرة ، آية : ١٥٣

فأتم ما يجب على السلطان والوزراء أن (١) يأمرُوا عسكرهم بالتقوى والصلاح والصبر والاملاء وينعموهم من الفسق والعصيان والليول إلى البدع والشبهوات . وذلك ميسر بحسن السياسة وال ضبط ويسهل بالالتفات إلى أختيارهم والإعراض عن أشرارهم :

ثم سبب دعاء الصلحاء من العلماء والشايخ والضعفاء والفقراء وهمتهم فإن همة الرجال تقطع الجبال . قال عليه السلام : لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر وقال عليه السلام : أتم منصورون بضعفائكم فلا بد من المراجعة والالتفات إلى هذه الطائفة بالإنعام والإحسان والاكرام لتنجذب قلوبهم وتشرح صدورهم إلى الدعوات للصلحات وحسن النيات فان فيها نقماً عظيماً للخواص والعموم . ويجب الاحتراز عما يوجب إيدائهم والاستخفاف بهم لئلا تنكسر قلوبهم ولا تنقبض صدورهم فان فيه ضرراً لجميع الأنام . وفي هذا المصير لا يشاهد ولا يرى فيما بين أكثر انورى إلا الاعراض والاستنكاف (والايذاء) (٢) والاستخفاء ، خصوصاً من الطائفة الخاصة ، أصحابهم الله .

ثم سبب همة السلطان وعزيمته على ضبط العسكر بالجود والاحسان والانعام عند الغلبة ، ثم الوفاء لمهده ، وللتهديد بالقهر والمقاب (٣) عند الحرب عن المحاربة : وقد شاع الحرب عن الزحف في حدود الروم خصوصاً في ديارنا (٤) . ولا بد من التقيد والاهتمام . إلا أن يكون الحرب للرأى (وللصلحة) (٥) كما قيل :

(١) سقطت من نسخة [١] و [ب]

(٢) سقطت من نسخة [ب]

(٣) في نسخة [١] - ... السياسة .

(٤) حدود البوسنة ، شرح أصول المحكم للاقتصارى ص : ٤٨

(٥) سقطت من نسخة [ب]

الطرب في وقته خير من الصبر في غير وقته . سأل عمرو بن العاص معاوية رضى الله
عنهما أرى لك في بعض الأوقات إقداما وأحكاما بشجاعتك وأرى في بعضها إحجاما
وأحكاما بجنبك فقال معاوية رضى الله عنه شعر :

شجاع إذا ما مكنتن فرصة إذا لم يكن لى فرصة فجبان :

ثم السبب عزيمة الجند على الخاربة لأعزاز دين الله وأعلاء كلمته لا لأخذ المال
وتبيل الجاه . قال عليه السلام : ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله
والناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الأداء .

ثم السبب طاعة العسكر وانقيادهم لأولى الأمر مع اتفاقهم وتألفهم بالتودد
والمؤاخاة وأمتناعهم عن التفرقة والمعاداة . هذا المعنى من أهم الأمور . وقد فقد
في هذا العصر حيث كثر الخلاف والشقاق ، وشاع بينهم العناد والنفاق ، فلا بد من
تدارك الاتفاق . فبعدمراعاة هذه الأسباب لابد من حسن الاعتقاد والتوكل على الله
الملك الوهاب ، والاعتماد والتوسل إلى معجزات رسوله الهادى إلى سبيل الصواب .
وأما ما يوجب الانهزام والانكسار ، وما يورث تسلط الكفار ، فهو الأهمال
في العمل بما تلونا من الاخبار ، والأصل فيه المصيان والبنى في العسكر فإن الله تعالى
أوحى إلى بعض أنبيائه إذا عصانى من يرفض سلطت عليه من لا يبرئى . وقال
عليه السلام لا تقتر مع البنى ويدل [على هذا(1)] نظر المتل فإن الفحشاء والنسك
والبنى خيانة في الدين والخائن خائف والخائف لا يخلو من الانهزام . وقد بدأ
البنى في ديار الروم بين عما كر المسلمين منذ ثلاث سنين ، فإن كثيرا منهم طفوا
في البلاد ، واكثروا فيها الفساد ، بهتك أعراض المسلمين ونهب أموالهم ، والتعرض
للسواتم وأولادهم ، واغارة أرزاق الرعايا ، وايداء الفقراء والضعفاء ، خصوصا

(١) في نسخة [ب] - ... عليه

الطائفة الحامسة فسلط الله الاعداء على حدود الروم ، فبالنوا في المهجوم ، وأخذوا قلاعاً كثيرة ، وأظهروا هجمة كبيرة وفعلوا ما فعلوا ، وما وقع هذا في عسكر الإسلام إلا الأهمال الضبط والسياسة والتقصير في أداء وظائفهم وذخائرهم ، ولم يرد أن أكثر ما وقع من الاختلال ما وقع (١) لا بسبب الطمع في المال ، من غير تمييز الحلال والحرام ، نيه الله قلوب الأمراء والوزراء عن هذه الأحوال أنه القادر الكبير المتعالى .

ثم السبب عدم ترقب الفرصة ثم التبرور واستصغار العدو فلا بد من التوبة والرجوع إلى الله المتعالى عن موجبات الضلال (٢) والتوقى عن الأهمال في تدبير المال . اللهم يا عول الأحوال حول حالنا إلى أحسن الحال . الخاتمة في الصلح والعهد .

قال تعالى (الصلح خير (٣)) ، قيل : الحرب صعبة والصلح أمن ومسررة . كينخسرو : أعظم الخطايا محاربة من يطلب الصلح . أردشير بابك : لا أستعمل السيف لمن عصى حينما يكفي العسا وما أتصدى للعدو بالوصول والنصل إذا كان يؤثر فيه قول الفصل . قيل : الصلح بقاء الآجال وحرم الأموال . قال الله تعالى (أن العهد كان مستولاً (٤)) ، وفي الحديث : خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا ساط الله عليهم عدوم وما حكموا بنير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهر فيهم الفاشة الا فشا فيهم اللوت وما طفقوا للكيسال الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر . وهذا آخر الكتاب والله أعلم بالصواب وفي هذا القدر لمن تأمل كفاية والكلام ليس له نهاية .

(١) سقطت من نسخة [ب]

(٢) في نسخة [ب] ... عن موجبات الغفلة والضلال .

(٣) سورة النساء آية : ١٢٨

(٤) سورة الاسراء آية : ٣٤

يا عالما بجميع الحمال في الطلب نرجو النجاة من الاحزان والكرب
اعط الخلاص من الأوزار قاطبة وأرحم عبيدك خلصنا من التيب

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وأسرفنا في أمرنا وثبت أقدامنا وأنصرنا على القوم
الكافرين (١) . اللهم أنصر جيوش المسلمين وأنصر عساكر الموحدين واكتب
السلامة على الحجاج [والنزاة والمجاهدين] (٢) وصل على رسولك محمد وآله وصحبه
أجمعين . (والحمد لله رب العالمين) (٣) .

[وقد وقع الجمع والانتام بعون الله الملك الملام في ذى الحجة الحرام لسنة
أربع والف من هجرة النبي عليه السلام (٤)] .

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٤٧

(٢) سقطت من نسخة [١]

(٣) سورة الفاتحة ، آية : ٢ .

(٤) وقد جاءت في ختام الترجمة التركية الموجودة على هامش المتن العربي في نسخة . به .